الفصل الثاني

في

العرب ، وأجيالهم ، وبلادهم

العـــرب ـ / في اللغة لفظ مأخوذٌ من : أعرب ..يُعرب .. إعراباً .

فـ أعربَ فلانٌ : كان فصيحاً في العربية ، وإن لم يكن من العرب .

و أعرب الكلام : بيَّنه .

و أعرب الكلام : أتى به على وفق قواعد النحو .

و أعرب الكلام : طبَّق عليه قواعد النحو .

و أعرب عن مراده : أبان عنه .

و أعرب عن حاجته : أبان عنها .

و الإعراب : إظهار حركات أواخر الكلِم بحسب تأثير العامل .. فيظهر : الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم .

و التعريب : صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية .

و عرب الرجل عَرَباً : فصُح بعد لُكنة .

و عَرُبَ الرجل عُرُوباً ، وعُرُبةً ، وعرابةً ، وعروبيةً : فصُحَ .

و عرُبَ لسانه :فَصُح .. أيضاً .

و عرَّبَ عن لسانه : أبان ، وأفصح .

و عرَّب الكلام : أبانه .

و وعرَّبَ فلانٌ فلاناً : علَّمه العربية .

و عرَّبَ منطقه : هذَّبه من اللحن .

و تعرَّب فلان : تشبَّه بالعرب .

و تــعرَّب : أقام بالبادية وصار أعرابيَّاً .

و تعرَّبت المرأة لزوجها : تحببت له .

و الأعراب من العرب : واحـدها أعرابي ، هم .. سكان البادية

خَّاصَّة ، ممن يتتبعون مساقط الغيث ومنابت الكلأ .

و العِراب : خيلٌ صريحة النسب ، وهي خلاف [البراذين] .

و العِراب : إبل منشأها بلاد العرب ، وهي خلاف [البُخاتي] .

<u>والعرب /</u> أُمَّةٌ من الناس ساميَّةُ الأصل ، كان منشؤها جزيرة العرب .. جمعها : أعرُب ، والنسبة إليها : عربي .

فـ يقال : لسانٌ عربيٌّ ، ولغةٌ عربيَّة[1] .

و العُرب : العرب .

و العَرْباء : هي العرب الخالصة في العربية ، الصريحة فيها .

و العَرُوبة : هي المرأة العَرُوب ، أي .. المتحببة لزوجها .

---

[1] في كلٍّ ما تقدَّم .. راجع : المعجم الوسيط [إصدار مجمع اللغة العربية] – القاهرة – ج 2 / 590 إلى 591 ..

و العَرُوبة : هو يومٌ في الجاهلية .. سمّأه الإسلام [بيوم الجُمُعة] .

و العُرُبـَة : اسم يُراد به خصائص الجنس العربي .

و العروبية : العُروبة .

و المتعَرِّبة : هم الذين نطقوا بلسان العاربة من العرب ، وسكنوا ديارهم

والمستعربة : هم المتعرِّبة[2] .

فالعرب / [اسمٌ لجيلٍ من الناس ، لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام ، والفصاحة في المنطق ، والذلاقة في اللسان .. ولذلك سُمُّوا بهذا الإسم .

فالإسم مشتقٌ من الإبانة ، فقولهم .. أعرب الرجل عمَّا في ضميره : إذا أبان عنه ، ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : { **الثيِّب تُعرب عن نفسها** } ، والبيان اسمهم بين الأمم][3] .

فإذا أفصح المرء وأوضح ، وأبان وشرح ، فلم يُهذرم ، ولم يَدْمِج في كلامه أو يُطمطم ، أو يرطِن رطانة الأعاجم .. فهو [عربيٌّ] ، وهذا لا تجده إلَّا عند هذا الجيل من الناس .

---

[2] **المعجم الوسيط – المرجع السابق** .

[3] **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الآلوسي _ 1 / 8** .

نعم ..لا تقف العرب على متحرِّك ، لكنها لا تُسكِّن من الكَلِم أواسطه إلَّا ما كان حقُّه كذلك ، بل تُعطيه حقَّه من الحركات بحسب العوامل .

أمَّا غيرهم .. فإنَّه يُسكِّن دوماً ، ويجمع بين الساكنين ، حتى لتغيب الكلمة في فم أحدهم[4] .

فـ للعرب .. لغةٌ رشيقة ، وأنيقةً دقيقة ، لها أسرارٌ في الإضمار والإظهار ، مما لم يتسنَ لغيرهم في لغاتهم ما تيسر لهم في غتهم ، حتى نُسبوا إليها ، ووُسموا بها ، وعُرفوا بين الأقوام ببارز صفتها ، وظاهر سمتها ، فبقيَّة اللغات نسبت إلى الأقوام ، والعرب نُسبوا إلى لغتهم ! .

فإذا كانت بعض الأقوام تعني أسماؤها : المقتلين ، أو الأشدَّاء ، أو الرُحَّل ، أو غير ذلك .. فإنَّ العرب أيضاً : مقاتلون ، وأشدَّاء ، ورُحَّل .. ولكنهم أخذوا اسمهم من الفصاحة في اللسان ، ومن حُسن البيان ، لا بغير ذلك من الأوصاف – وإن كانت حسنةً في اتها – .

فالعرب .. أعربنا عن معناهم ، أمَّا ..

الأعـراب : فهم كلُّ بدويٍّ ، وإن لم يكن من العرب .

والأعجمي : اسمٌ يُقال لمن في لسانه لُكنة ، وإن كان من العرب .

---

[4] **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في الذهن أو مرذولة للبيروني – 14** .

والعجمي : من ينتسب إلى [العجم] خاصَّة ، وإن كان فصيحاً[5] .

وفي [الأعرابي] أقوال نقلها العلاَّمة محمود شكري الآلوسي في بلوغ الأرب ، والراجح منها يتفق مع ما قلناه .

يقول الآلوسي : .. لكلِّ أُمَّةٍ لها حاضرةٌ وبادية ، فبادية العرب .. الأعراب ، وقد يُقال أنَّ بادية الروم .. الأرمن ونحوهم ، وبادية الترك .. التتر ونحوهم ...][6] .

فإذا مان العربي من تكلَّم بلة العرب ، أو انتسب إليهم – وإن لم يكن ساكناً في بلادهم ، فليس في لفظ [الأعراب] تهويناً لشأن أحد ، بل هو بيانٌ لواقعه وطريقة عيشه .

وكلُّ ما قالوه هو من : دقة العرب في التمييز بين المتشابهات ، والفصل بين المتقاربات ، بل هو من سعة اللغة في استيعاب كلِّ الحالات .

<u>أصل العرب .. وأجيالهم /</u> إنَّ البشرية تبدأ [بآدم] – عليه وعلى نبيِّنا السلام – ، فحين أهبطه الله عزَّ وجلَّ من الجنة إلى الأرض – على أرجح الأقوال – ، فإن من

---

[5] نقله في الطبقات السنيَّة في فقهاء الحنفيَّة لمحمد عبد الحيِّ اللكنوي – 87 [طبعة حجرية] .

[6] بلوغ الأرب [المرجع السابق] – 1 / 12 ، وراجع : الصحاح للجوهري ، وفيها كلُّ ما تقدَّم [نقلاً عن نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي – 18 .

المهم للمشتغلين بالأديان وعلوم الأجناس معرفة ما حدث له ، بغضِّ النظر عن سبب ذلك الهبوط[7] .

فإذا أهملنا ما قيل عن كون هبوطه كان في : الهند .. أو جزيرة سرنديب – سيلان الحالية – ، وذلك لعدم وجود دليلٍ ، فإن [حوَّاء] زوجه أُهبطت في بلاد العرب بلا روايةٍ مخالفة ، والمتفق عليه التقاؤهما في صعيد [عرفة] ، وسميَّت كذلك لأن تعارفهما تمَّ على صعيدها ، وإن كانت في التسمية آراءٌ أخرى .

ولعل رواية نزول [آدم] في بلاد العرب تترجَّح لأسباب .. منها :

- نزول [حواء] بلا خلاف فيها .
- وما روي عن بنائه الكعبة المشرَّفة ، باعتبارها أول بيتٍ وضع للناس .. إمَّا مطلقاً ، إو باعتبارها أول بيتٍ للعبادة . وعلى الاحتمالين يكون يكون [آدم] أول من بناها لهذا الاعتبار ، يقول تعالى :

{ إنَّ أول بيتٍ وُضع للناس للَّذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين }[8] .

- وموت [آدم] في بلاد العرب ، ودفنه في جبل [أبو قبيس] المطلِّ على الكعبة في كهف [الكنز] مع [حوَّاء] ، وحتى لو قلنا بدفن حواء في مدينة [جدة]

---

[7] دائرة المعارف الإسلامية – 1 / 26 ، المعارف لإبن قتيبة – 12 .

[8] آل عمران / 96 .

التى لها فيها قبرٌ ظاهرٌ مدَّعى .. ومنها أخذت تلك المدينة اسمها لكونها مدفن جدَّتنا [حوَّاء] ، فلكونها لم تفترق عن آدم بعد هبوطهما إلى الأرض ، فإن وفاتهما كانت في جزيرة العرب قطعاً .

ولا يقدح فيما تقدم ما ذكر أن [آدم] ومن بعده ولده [شيث] دفنا في [الحطيم][9] ، فالمآل واحد في كونهما في جزيرة العرب[10] .

ومما يؤيد أن الكعبة من بناء آدم أو ولده شيث ، أنَّ أبي الأنبياء [إبراهيم] وولده [اسماعيل] – عليهما وعلى نبينا السلام – قاما **برفع القواعد من البيت** ، والرفع يقتضي وجود أُسٍّ لما قاما برفعه ، وذلك بعد خرابها بالطوفان الذي حدث في عهد النبيِّ نوح عليه وعلى نبيِّنا السلام .

يقول تعالى : { وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السميع العليم }[11] .

ومما يؤيد ما تقدَّم ذكره عن [عرفة] ، وإن ورد عن وجه تسميتها أن سيَّدنا إبراهيم حينما انتهى جبرائيل عليه السلام

---

[9] الحطيم – هو الجزء الذي بقي خارج الكعبة عند إعادة بنائها من قبل قريش قبل البعثة ، والواقع بين الركنين : العراقي .. والشامي ، وذلك لقصور النفقة عندهم . [راجع : أخبار مكة للأزرقي] .

[10] المعارف لإبن قتيبة ، وفيه فرار [قابيل] بعد قتل أخيه [هابيل] إلى شرقي عَدَنْ – 11 إلى 12 ، وراجع : مفتاح كنوز السنة – 42 .

[11] البقرة / 127 ، وراجع : مفتاح كموز السنَّة – 42 .

من تعليمه مناسك الحج ، قال : عرفت .. عرفت[12] ، فقيل أنها سميَّت بذلك لهذا السبب .

ولعل من تعزيزات ما قيل : أن آدم كان يتحدث بالعربية ويكتب فيها ! ، وأنها هي لغته في الجنَّة .

وعلى الرأي الغالب ، فإن العرب من نسل : [سام بن نوح] ، وقد سكنوها بعد الطوفان[13] .

وعلى هذا .. فإن أصل البشرية في بلاد العرب ، وأصل الكتابة ، وأصل اللغات ، وأصل الحضارة لقيام آدم ببناء الكعبة ! .

ولقد وقع الاتِّفاق على أن هناك من ولد [سام بن نوح] جدٌّ ينتسب إليه أجيالٌ من الناس اسمه [قحطان] .

فقيل : أنَّه ولدٌ لـ [هود] العربي الساميِّ ، فيكون قحطان من [عاد] وهي من العرب البائدة – كما سيأتي –[14] .

---

[12] راجع : دائرة المعارف الإسلامية – 1/ 26 إلى 27 ، والمراجع المحال عليها فيها ، مثل .. الطبري في التأريخ ، والطبري في التفسير ، والمسعودي ، واليعقوبي ، والثعلبي ، وابن العبري ، والسيرة الحلبية.
وراجع : جمهرة أنساب العرب لإبن حزم الأندلسي بطبعتيه العادية والمشجَّرة .. التي شجرها [كامل سلمان الجبوري] تحت اسم [قلائد الذهب في أنساب العرب] ، وسبائك الذهب لأبي الفوز محمد أمين العباسي السويدي البغدادي ، وهداية المهتدي في الفقه الحنفي – 1 / 81 [طبعة لكنهو] ، والمعارف لإبن قتيبة – 2/ 113 .

[13] راجع المراجع السابقة في الهامش السابق .

[14] الهداية والجمهرة والسبائك – المراجع السابقة ، ونفس المواضع .

والقول السابق ساقطٌ ، لما ورد في القرآن الكريم :{ وأمَّا عادٌ فأُهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية سخَّرها عليهم سبع ليلٍ وثمانية أيامٍ حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنَّهم أعجاز نقلٍ خاوية فهل ترى لهم من باقية }[15] .

على أن من يُصرُّ على بنوته لهود ، يستدل بقوله تعالى :{ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ منَّا ونجيناهم من عذابٍ غليظ }[16] .

فيكون المعنى / أن من لم يؤمن مع هود ما بقي لهم من باقية ، فهم من [البائدة] ، ومن نجا هو ممن آمن .. ولعل أحدهم هو [قحطان][17] .

والجمع بين الآيتين بهذه الصورة لا تأباه القواعد الأصولية – أصول الفقه – على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فالعمومات في الآية الأولى ليست قطعية بل ظنيَّة ، لأن عنده .. [ما من عامٍ إلاَّ وجرى عليه التخصيص] ، فتخصيصه ثانيةً بالآية الأخرى مقبولٌ بهذا الاعتبار ، بل حتى ولو كان التخصيص بها ابتداءً ، وعند الغير لا تُساعد أُصولهم على هذا الفهم[18] .

---

[15] الحاقَّة / 6 إلى 8 .

[16] هود / 58 .

[17] ممن يصرُّ على ما تقدَّم : نشوان بن سعيد الحميري في منظومته المسماة : ملوك حمير وأقيال اليمن ، مطبوع مع شرحها : خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة .

[18] الفقه الإسلامي أساس التشريع [بحث الشيخ زكيٍّ الدين شعبان / منهج القرآن في بيان الأحكام] – 37 ، إصدار المجلس الأعلى للشؤون

ولقد جعل البعض الآخر من علماء الأنساب من [قحطان] إبناً لـ [عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح] ، فما ساقوه بهذا الشكل قد يختلف عمَّا ذكرناه قبلاً .

ولقد جعل هؤلاء من [عابر] جداً يلتقي فيه سيِّدنا إبراهيم مع النسب القحطاني ، فيكون اجتماع القحطانيين والعدنانيين في ذلك الجدُّ انتهاءً إلى الجدِّ الجامع بينهما [سام بن نوح] .

وأيَّاً ما كان الحال ، والله أعلم به ، فالعرب بأجيالها – الآتي ذكرها – كلها ساميَّة الأصل ، فهذا حدٌّ متَّفق عليه[19].

وكما وقع الإتفاق على وجود جدِّ اسمه [قحطان] ، فقد وقع الاتِّفاق على وجود جدٍّ لجيل من العرب اسمه [عدنان] .

وعدنان هو جدُّ العدنانية ، وهو من ولد سيِّدنا اسماعيل بن إبراهيم الذي ينتهي نسبه إلى [عابر] ، وهؤلاء قد نطقوا [بالآرامية] فترة ، ثم تحول اسماعيل إلى العربية وهي لغة قبيلة [جرهم] – وهي من العرب البائدة – ، وبعضهم يجعلها من العاربة – أي القحطانية – .

وأيَّاً ما كان الحال ، فالكل عربٌ ومن جزيرة العرب ، وكلُّهم ساميُّون .. لكن الخلاف في الجد الذي يلتقون فيه .

الإسلامية – لجنة تجلية الشريعة الاسلامية .

[19] **سبائك الذهب للسويدي – 12 وما بعدها ، المعارف لإبن قتيبة – 16 .**

ولقد جعل بعضهم العرب يرجعون إلى : قحطان ، وعدنان ، وقضاعة ، بل جعل البعض [قحطان] من ولد اسماعيل ، وكذلك العكس[20] .. وكلٌّ ذلك ليس بشئ .

وقد اختلفوا في [قضاعة] .. هل هي من عدنان أم قحطان ؟ ، ولكن الحد المتفق عليه بينهم .. أنهم من العرب ، وبلادهم أعالي الجزيرة مما يلي الفرات وأغلب بلاد الشام .

ولا أرى وجهاً لإفرادهم بالذكر ، فما زال الناس يقولون : أن العرب قحطانية ، وعدنانية .. وكفى .

ومهما قيل في نسب قحطان وعدنان إلى سام بن نوح ، فالمتفق عليه أن لقحطان ولدٌ اسمه [يعرب] ، هو الذي أعرب الكلام[21] .

وأنا أشك في جعل بدء النطق بالعربية يبدأ بيعرب ، بل هو أقدم من ذلك وقد يرقى إلى آدم ، وإلى سام .

ولعل تسمية قحطان اسمه بيعرب ، لأن قومه كانوا يُعربون الكلام ، فمن فعلهم اشتق له اسماً ، ثم اشتق اسم القوم كلَّهم ، ولا عكس[22] .. والله أعلم بالحال .

---

[20] الجمهرة لابن حزم – مواضع عدة .. والصفحة 7 ، ونهاية الأرب للقلقشندي – 39 .

[21] المعارف لابن قتيبة – 38 وما بعدها ، 62 وما بعدها ، أقيال اليمن للحميري – 27 إلى 29 .

[22] وممن يُصرُّ على أنَّ أول من نطق بالعربية .. هو يعرب : الحميري في منظومته ، التي يقول فيها :

أجيال العرب / يقسم الكاتبون في تأريخ العرب ، يقسمون أجيالهم إلى تقسيمات عدَّة يتفاوتون والمآل واحد .

ولعل أحسن تقسيم تركن إليه النفس .. هو الآتي :

أولاً / الجيل الأول .. العرب البائدة – وهم الذين لم يبقَ من ينتسب إليهم – في الأقل – ، بل قول الأكثر هو عدم بقاء أحدٍ منهم .

ويمكـن أن يُعدَّ من هؤلاءِ كلٍّ من : طسم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وجُرهم ، ومَدْين ، وأُمَيْم ، وحضرموت ، وسبأ ، والأقيال ، والعماليق ..

وسبب هلاكهم وانقطاع نسلهم .. متفاوت :

- فبعضهم .. بما قدَّره الله عليهم بسبب أفعالهم .. كعادٍ ، وثمود .

فعـاد – أوردتُ قبلاً بعض ما جاء في القرآن الكريم بحقِّهم .

وثمود – ورد في القرآن بحقِّهم الكثير ، منه قوله تعالى : { وأنَّه

أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى }[23] .

أم ابن يعرب وهو أول معرب في الناس أبدى النطق بالافصاح

[23] النجم / 50 إلى 51 .

- وبعضهم .. أهلكتهم الحروب ، ونستفيده من إشارة القرآن الكريم

في معرض امتنانه على أهل مكة ، حين جعل الله لهم [حَرَماً آمناً]

وأن الآخرين يُهلك بعضهم بعضاً .. يـقول تعالى : { أ ولم نمكّـن لهم حَرَماً آمناً يُجبى إليه ثمرات كلّ شئ }[24] .

و يقول تعالى : { أ ولم يروا أنَّا جعلنـا حَرَماً آمناً ويُتخَطَف الناس من حولهم }[25] .

- وأهلك [سيل العرِم] الكثير ممن لم يرحل قبل تهدُّم سدِّ مأرب ..

يقـــول تعالى : { لقد كان لسبأ في مسكنهم آيةٌ جنَّتان عن يمينٍ وشمالٍ كلوا من رزق ربّكم واشكروا له بلدةٌ طيِّبةٌ وربٌّ غفور

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرِم وبدَّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خمْطٍ وأثلٍ وشئٍ من سدرٍ قليل ذلك جزينـاهم بما كفروا

---

[24] القصص / 57 .

[25] العنكبوت / 67 .

وهل نُجازي إلَّا الكفور }[26].

وأهــلكت قبيلة قريش [جُرهماً] لمَّا بغوا في الحرم ، واستبدوا

بمكة بما حوت من مقدَّسات ، ولم يكن لهم حقٌ سابق ، بـل هي

لولد اسماعيل عليـه السلام ، فتجمَّع أولاد اسماعيل على قُصيٍّ

بن كلاب ، فسمِّيَ [مُجمِّعاً] .

ثــم تنادوا على ألَّا يُبقوا جُرهميَّاً في مكة ، بالرغم من كونهم

أخوالهم ، فأعملوا فيهم القتل ، فأفنوهم عن بكرة أبيهم .. حتى أنَّ

المنـادي نادى في بطن مكة : من قتل جُرهمياً كافئناه ، وما نجا

منهم إلَّا واحــدٌ ، أخذ ينظر من فوق جبل [أبي قبيس] ، ولما

سمع نداء المنادي ، انشأ متحسراً على قومه ومآلهم ، وما حصدوه

نـتيجة ظلمهم ، وما آل إليه أمرهم من انقطاع ذكرهم ، وانحسار

---

[26] سبأ / 15 إلى 17 .

ظلِّهـم عن مكة .. بل من الحَرَم .. بل من الأرض ! ، والأرض

لله يورثها من يَشاء من عباده ، فأنشـأ قصيدتـه المشـهورة –

التي ذهبت أبياتها مذهب الأمثال – والتي يقول فيها[27] :

وقائلــةٍ والدمع سـكبٌ مبــادر وقد شرَّقت بالدمع منها المحاجر

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيـسٌ ولم يسـمر بمكة سامر

بـلى نـحن كنـَّا أهلهـا فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

غير أنِّي لا أغفل قول من قال بصيرورة هؤلاء وبقاياهم إلى غيرهم مـن قبائـل العـرب ، فسمَّاهم هؤلاء [بالعاربة] ، وسـمِّوا اللاحقيـن [بالمستعربة][28] ، ولكن ما اتبعناه أفضل ، وإن كان ما قاله هذا البعض من وجود بقيّةٍ مقبول ، لكن لم يبقَ لهم في الناس اسمٌ ولا رسمٌ !! ، فسبحان محوِّل الحال من حالٍ إلى حال ، فإنَّ: [دوام الحال من المُحال].

---

[27] بلوغ الأرب للآلوسي – 1 / 230 .

[28] بلوغ الأرب – 1 / 8 .

ثانياً / الجيل الثاني .. العرب العاربة – على وزن اسم الفاعل ، فهم الراسخون في العروبية ، وذلك لعدم نطقهم بلغةٍ أخرى غير العربية ، وهم باقون لم تَبِدْ قبائلُهم – على خلاف من باد – ولذلك لم يدخلوا في البائدة لهذه الاعتبارات .

نعم .. البائدة هم من العاربة من جهة عدم نُطقهم بغير العربية قط ، لكن تمييزاً لأولئك عن باقي العاربة التي لم تبد ، فقد سموا [بالبائدة] تمييزاً عمن لم يبد منهم .

والعاربة .. هم القحطانية ، أو اليمانية ، فمن نزح منهم قبل سيل العرم عدَّ من العاربة أصلاً ، ومن أفناه الله بالسيل العرِم ، فقد عُدُّوا من البائدة ، وإن كانوا عاربةً أصلاً ، لأنهم أصلاء في العروبية .

وفي كلِّ الأحوال فإن المسألة اصطلاحية ، وكما قالوا : [لا مشَّاحة في الاصطلاح] .

فمن القحطانية .. القبائل اليمانية الموجودة الآن ، ومنها : كهلان ، ومذحج ، وخولان ، وهَمْدان ، وجيزان .

ومـن هؤلاء : قبائل طئِّ .. وهم كثر منهم قبيلة شمَّر المعروفة وغيرها ، وزبيد وتفرعاتها ، والعزَّة ، والعبيد ، والجنابيين ، والدليم ، والأنصار من الأوس والخزرج .

ثالثاً / الجيل الثالث .. العرب المستعربة – أي : العرب المتحولة في لسانها ، وليس في أصولها .

إن وزن [استفعل] في العربية يأتي باستعمالات عدَّة ، منها :

- طلب وقـوع الفعل : تقول [استقتل فلان] أي : طلب القتل ، واستغفر : طلب الغفران ، واستهدى : طلب الهداية .. الخ .
- للتحول والصيرورة : تقول [استعرب فلان] أي : تحوَّل عربياً .

فالعدنانية هم من ولد اسماعيل ، وأبوه كان يتكلم [الآرامية] ويسكن جنوبيِّ العراق ، ثم انتقل إلى [حرَّان] عن طريق [عانات] ، ثم إلى فلسطين ، ثم إلى مصر ، ثم عاد ومعه [هاجر] التي أهداها فرعون له ، وهي من أبناء الملوك في جنوبيِّ مصر ، ولم يكن قد مسَّها أحد ، فزوجته منها زوجته سارة زواجاً شرعيَّاً ولم تكن سريَّةً له – كما تزعم التوراة – فولدت له اسماعيل ، فوجدت عليها في نفسها زوجتـه الأولى وابنـة عمه [سارة] التي لم تكن قد حملت بعد ، مما حدا بإبراهيم لإبعاد أم ولده اسماعيل ، فأنزلها – بأمر ربِّه – في وادي مكة من جبال [فاران] – الحجاز – .

وأورد القرآن الكريم هذه الأحداث ، في قوله تعالى :

{ ربَّنا إنِّي أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرَّم ربَّنا ليُقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلَّهم يشكرون }[29] .

فإبراهيم أسكن بعض ذريته وليس كلَّهم ، بدليل [مِنْ] التبعيضية ، وكان يعرف – بتعريف الله له – مكان البيت والحرم ..

يقول تعالى : { وإذْ بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تُشرك بي شيئاً وطهِّر بيتي للطائفين والقائمين والركَّع السُجُود }[30] .

لقد ذهب إبراهيم بزوجته وولده إلى بلاد العرب .. وإلى الحجاز .. وإلى مكة بالذات من دون بلاد الله ، لحكمةٍ اقتضتها الإرادة الربانية ، والحكمة الإلهية ، لكي يكون هناك جيلٌ جديدٌ من العرب ، تكون فيه :

النبوة ، والسيادة ، والملك ، والظهور على الدنيا برمتها .. وإلَّا ففي فلسطين وعموم بلاد الشام مع طيب هوائها ، وتوفر مائها ، واعتدال أجسام أهلها ، ما كان له فيه مندوحة عن بلاد فاران وجبال الحجاز ، وما هي إلَّا { حكمةٍ بالغة }[31] ، { ولتعلمنَّ نبأه بعد حين }[32] .

---

[29] ابراهيم / 37 .

[30] الحج / 26 .

[31] القمر / 5 .

[32] ص / 88 .

ثم حملت [سارة] .. [بإسحق] ، فهو أصغر من اسماعيل ، والأخير هو [الذبيح] ، واليهود – لعنهم الله – يدَّعون غير ذلك ، وبسبب هذا وبسبب مجئ النبوة في آخر الزمان في ولد اسماعيل – وقد اعتادوها فيهم – ، فقد أعلنوا بالعداوة لمحمدٍ عليه السلام وقومه والمؤمنين به إلى يوم الدين ، فالنزاع معهم دينيٌّ وليس غير ذلك ، وفي إشارة إلى تسلسل أولاد إبراهيم ، يقول القرآ الكريم :

{ الحمد لله الذي وهبني على الكِبَر اسماعيل واسحق إنَّ ربِّي لسميع الدعاء }[33]. فتقيم لساعيل بالذكر على اسحق دلالة على أسبقيتة ولادته.

ثم يتحدث القرآن عن قصَّة الذبح والفداء ، ثم بعد ذكر الحادثة ترد البشارة بإسحق ! .. فكيف يكون هو الذبيح ؟ ؟ !

.

يقول تعالى : { ربِّ هب لي من الصالحين فبشرناه بغلامٍ عليم فلَمَّا بلغ معه السعي قال يا بُنَيَّ إنِّي أرى في المنام أنِّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتلَّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيمُ قد صدَّقت الرؤيا إنَّا كذلك نَجزي المحسنين إنْ هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذِبحٍ عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلامٌ على إبراهيم

---

[33] 33 إبراهيم / 39 .

كذلك نَجـْزي المحسنيـن إنَّه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحق نبيَّاً من الصالحين }[34] .

ولأن بناء البيت من إبراهيم كان بمشاركة اسماعيل ، كان العهد له دون اسحق جدِّ اليهود ، فلأجل ذلك كلِّه – ولكثيرٍ غيره – حاربوا محمداً عليه السلام ، وأعلنوا له ولدينه بالعداوة ، وسيبقون هكذا إلى يوم القيامة ، ولن يُنتزع حقدُهم قط .

ويقول تعالى : { وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمَّهنَّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتَّخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهِّرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والرُكَّع السُجُود وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخِر قال ومَنْ كَفَرَ فأُمَتِّعُهُ قليلاً ثم أضْطَرُّهُ إلى عذابِ النار وبئس المصير وإذ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيل ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السميع العليم ربَّنا واجعلنا مُسلمين لك ومن ذريَّتنا أُمَّةً مسلمةً لك وأرِنا مناسكنا وتُبْ علينا إنَّك أنت التوَّاب الرحيم **ربَّنا وابعث فيهم رسولاً منهم** يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة إنَّك أنت العزيز الحكيم }[35] .

---

[34] الصَّافات / 100 إلى 112 .

[35] البقرة / 124 إلى 129 .

هذا ولما كانت .. هاجر أم إسماعيل مصرية ، وأبوه لم يتكلم من قبل بالعربيـة ، فتحـوَّل لسـانه هـو إليـها ، أي : استعرب .. فسميَّ نسله [بالمستعربة] ، وهم : العدنانية .

ولو أخذنا بالرأي الذي يجعل كل من : قحطان وعدنان ، يلتقيان بجدٍّ واحد في [عابر] من ولد سام بن نوح ، فالتحول كان مؤقتاً عن أصل العربية ، وإليها عاد لسان العدنانية ، بعد نطقهم [بالآرامية] بسبب المساكنة ، ولفترة محدودةٍ من الزمان .

ولا يُعجبني قول من يقول .. أن بقايا العرب البائدة هم المستعربة لا غيرهم ، فهم اندمجوا في العاربة ، فلم يحصل لهم تحوُّلٌ باللسان ، ولا بالإسكان ، بل ذابت قبائلُهم في العاربة ليس إلاَّ ! ، فأين التحوُّل ليجعلوهم [مستعربة] ؟ ! .

ثم كبر إسماعيل وأصهر إلى قبيلة [جُرهُم] اليمانية القحطانية ، والتي سكنت الحَرَم بجوار وادي مكة بعد مفارقتها لليمن بسبب [سيل العرم] ، ولم تكن تنزل فيه لأنه { غير ذي زرعٍ } .. لأنه لا ماء فيه .

وسبب سكناها في بطن مكة – بعدئذٍ – هو : أنَّهم رأوا الطير يحوم حول الوادي ، وهذا دليل وجود الماء في الصحاري ، وهو دليل وجود الأرض في البحار ، فأرسلوا من جاء بعدئذٍ ليخبرهم أن امرأة وطفلها في الوادي ، والماء ينبع

من تحت رجل الوليد وهي تريد المحافظة على الماء بكفِّ التراب حوله ، وتقول له تِرِم .زِم !! ، ويقول عليه السلام : { رحِم الله أمَّ اسماعيل لو تركت زمزم .. أو قال : لو لم تغرف من زمزم ، لكان عيناً معيناً }[36] .

وحدث ذلك بعد عطش وليدها عطشاً شديداً بعطشها هي ، ونضوب حليبها ، فذهبت إلى رابية [الصفا] لتتفحص الماء ، فأوهمها السراب فنزلت مهرولة إلى رابية [المروة] .. وهكذا سبعة أشواطٍ ، لتعود فتجد الماء بينرجلي الوليد ! .

لم تنزل جرهم إلَّا بإذن من هاجر ، لأنها صاحبة الماء ، فتربى اسماعيل معهم ، ونطق لغتهم ، وتزوج منهم ، ثم بنى وأبوه البيت الذي كان موضعه معلوماً على شكل رابيةٍ في وسط الوادي تأخذ السيول من أطرافها .. وأُسُّه باق[37] .

وقد توارث وأبناؤه خدمة البيت ، الذي اغتصبت منهم جرهم ذلك ، ثم أعـاده قصيٌّ ، وتنادت قريش لإبادة جرهم – كما ذكرنا من قبل – ، فعادت : رئاسة مكة ، وسدانة الكعبة ، وسيادة الحرم إلى أبناء اسماعيل .

فالعدنانيون هم : حملة الرسالة ، وبُناة البيت وحُماته ، وهم حفظة اللغة حين نزل القرآن بلهجتهم .. ومن العدنانية اليوم في العراق :

---

[36] قصص الأنبياء لإبن كثير – 155 .

[37] المرجع السابق .

السادة الأشراف الحسنيون والحسينيون ، والعقيليون أبناء عقيل بن أبي طالب ، والعباسيون ، والبكريون من نسل سيِّدنا أبي بكر الصدِّيق ، والعمريون من نسل عمر بن الخطاب ، والعثمانيون من نسل عتمان بن عفَّان .. وعامَّة الأمويين .

كذلك من القبائل العدنانية : تميم ، وأسد ، وعنزة ، والموالي .. وغيرهم .

رابعاً / الجيل الرابع .. العرب المتجمعة – وهم العرب الذين وحدهم الإسلام تحت رايته ، فلم يكن لهم همٌّ إلَّا نصرة الدين ، وتركوا العصبية التي نهى عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فهم العرب الذين جمَّعهم الإسلام تحت رايته ، وأزال عنهم عنعناتهم ، ووَّحد كلمتهم بالإسلام ، فلا منافرة ولا مفاخرة ، فلم يعد للعدنانية والقحطانية مكان ، بل الكل هم أبناء الإسلام .

وهذا الجيـل لم يـقل به أحدٌ من أصحاب الأنساب ، وأنا أول قائل به – ولا فخر – .

خامساً / الجيل الخامس .. العرب المستعجمة – والعُجمة .. هي : اللُكنة في اللسـان ، والخلط باللغـة ، واللحن بها ، فينطقون لغتهم وكأنهم [أعاجم] – أي من غير العرب – ! .

وهؤلاء بدأوا بانتشار العرب في الأمصار ، وتنائيهم في الديار ، وانقطاعهم عن بلادهم في الأقطار .

وكذلك .. كان بدء هذا الجيل : بسكنى العرب في المدن ، واختلاطهم بالأعاجم : فرساً ، وتركاً ، وروماً ، وهنداً .

فالمستعجمة صنفان :

- صنفٌ استعجموا في غير بلادهم ! .
- وصنفٌ استعجم لسانهم وهم في بلادهم ! .

وإنك لتجد في كلِّ بلاد الإسلام .. عرباً استعجموا ، وهم يملأون الدنيا في بلاد : الهند ، وما وراء النهر ، وخراسان ، والروم ، والجبال .. الخ .

بـــلاد العـــرب

وقد تسمى بجزيرة العرب ، وفي الحقيقة هي شبه جزيرة لإحاطة المياه من جوانب ثلاثة .

ففي بلاد العرب .. ولد محمد عليه الصلاة والسلام ، وفيها بُعث ، وفيها نزل القرآن ، وفيها شرِّعت الأحكام ، وفيها مات ملتحقاً بالرفيق الأعلى .. ولهذا وجب علينا معرفة حدودها .

وقد جعل الإسلام لهذه البلاد أحكاماً خاصَّةً بها :

- ففيها : الحَرَم ، والكعبة ، وزمزم ، والحطيم ، ومقام إبراهيم .
- ولا يجوز اجتماع دينين فيها ، لقول المصطفى : { لا يجتمع دينان فيجزيرة العرب } .

- عدم جواز إحداث معابد للملل الأخرى غير المسلمين فيها .
- ولكون ساكنيها هم العرب ، وهؤلاء لم يُقبل منهم غير : الإسلام ، أو السيف .

لكلِّ ما تقدم ، ولما يظهر من أمورٍ غيرها .. وجب علينا معرفة حدود بلاد العرب .

تبدأ بلاد العرب من نقطة اللتقاء شط العرب بالخليج ، لتكون [عبَّادان] ضمن بلاد العرب ، ولهذا قالوا : [ليس بعد بيان الله بيان ، ولا قرية بعد عبَّادان] ! .. أي : لبلاد العرب ، ثم يسير الحدُّ مع الفرات إلى التقائه بالخابور .. مروراً : بالحيرة ، والكوفة ، والأنبار ، وهيت ، وحديثة الفرات ، وعانات ، والرقة .

ثم ينحرف الحدُّ غرباً إلى [بالس] ، ثم إلى [السويداء] ثم إلى [العقبة .. أو أيْلة] ، ثم يسيـر مع ساحل بحر [القلزم] مستديراً حول بلاد : اليمن ، وحضرموت ، وهَجَر ، ثم إلى شط العرب .

أمَّا البلاد العربية .. أي : التي سكنها العرب ، فهي غير جزيرة العـرب ، وبعضها سكنوها قبل الإسلام ، مثل : الشام ، والعراق .

ثم غلب العرب .. ولغتهم على كثيرٍ من البلاد ، حتى استقر أمر البلاد العربية – وهي غير الجزيرة – على ما هو عليه الآن ، فيجب عدم الخلط بين الأمرين بحالٍ من الأحوال .

والعرب / كُلِّفوا بالإسلام أو المقاتلة بالسيف ، ولم يقبل الإسلم منهم أن يكونوا [ذميين] ، أي : محتفظين بأديانهم السابقة مع البقاء في بلاد العرب ، وذلك لأن الإسلم كرَّمهم بأُمور .. منها :

- اختيار نبيِّ آخر الزمان ، وخاتم الرسل .. منهم .
- اختيار لغتهم لساناً لخطابه لعبيده في هذا الدين .
- اختيار بلادهم موطناً لنزول القرآن ، وتشريع الأحكام .
- اختيار بلادهم موطناً لولادة النبيِّ الخاتم ، وموطناً لمدفنه .

ولما كان كلُّ تكريمٍ ونعمة ، لا بدَّ أن يقابلها تكليف وواجب ، فالإنسان حين يكون صحيح البدن .. فإنَّه يُكلف بالصلاة ، وحين يكون ذا مالٍ .. فإنَّه يُكلَّف بالزكاة ، وحين تجتمع نعمة المال مع صحة البدن .. فإنَّه يُكلف بالحج ، وإن كان ذا علمٍ .. فإنَّ زكاته إنفاقه كلَّه ، ومن كان ذا جاهٍ .. فإنه يبذله في قضاء مصالح الناس .

فلمّا منَّ الله جلَّ وعلا على العرب بتلك المنن التي ذكرناها ، فإنَّه كلَّفهم بتلك التكاليف الزائدة عن بقية المسلمين ، فلم يختارهم الله لأفضليتهم قبل اسلامهم ، بل لسعة لغتهم ، واستعدادهم الفطري لحمل الرسالة إلى الناس كافَّة .. فتنبه لهذا ولا تغفله .